

## ملاحح من الحياة الثقافية بماضرة مازونة خلال

### العهد العثماني

#### Features of cultural life in the city of Mazouna during the Ottoman period

د/ ميلود ميسوم

جامعة الشلف - الجزائر

[miloudmissoum02@yahoo.fr](mailto:miloudmissoum02@yahoo.fr)

تاريخ النشر  
2019/06/15

تاريخ القبول  
2019/05/28

تاريخ الإرسال  
2019/05/26

#### الملخص:

كان لتدفق الأندلسيين بعد سقوط غرناطة الأثر الكبير على الحياة الاقتصادية و الفكرية و الثقافية لبلاد المغرب ، حيث انتشرت الصناعة والحرف التقليدية بامتزاجها بالصناعة المحلية، كما انتشرت المدارس و الزوايا و المساجد والكتاتيب في معظم المناطق التي أهلها الأندلسيون، و أحدثوا ثورة فكرية وثقافية في معظم الحواضر الجزائرية كتلمسان ومعسكر ومازونة و الجزائر و بجاية وقسنطينة ... و حملوا لواء التعليم بمراحله ، حتى أصبح معظم الجزائريين يحسنون القراءة و الكتابة . وكانت مدرسة مازونة منارة علمية أضاءت كل الغرب الجزائري و حواضر من المغرب الأقصى ، وذلك لاكتسابها لنظام تعليمي انفردت به عن ماسواها من المدارس الشاهقة كمدارس تلمسان ومعسكر ، واحتوائها على خيرة العلماء والمشايخ ، فكانت مقصد ومحج لطلاب الناحية الغربية بمرمتها من

المغرب حتى مستغانم وتنس مرورا بتلمسان ووهران ، وذلك لأزيد من أربعة قرون.

### الكلمات المفتاحية:

حاضرة مازونة؛ المدرسة الفقهية؛ العهد العثماني؛ بايلك الغرب؛ التعليم؛ الحياة الثقافية.

### Abstract:

The Andalusian influx after the fall of Granada had a great impact on the economic, intellectual and cultural life of the Maghreb, where traditional industry and crafts spread by mixing with the local industry. Schools, zàwiyah, mosques and koranic schools spread in most areas inhabited by the Andalusians, and they brought an intellectual and cultural revolution in most of the Algerian cities such as Tlemcen, Mascara, Mazouna, Algeria, Bejaia and Constantine and carried the banner of education in its stages, so that most Algerians improved in reading and writing.

The Mazouna School was a scientific beacon that illuminated all of the Algerian west and cities from the Far East, for it acquired a unique educational system with regard to other high schools such as Tlemcen and Mascara, and containing the finest scholars and sheikhs. It was a destination for students from the entire western region from Morocco to Mostaganem and Ténés through Tlemcen And Oran, for more than four centuries.

**Keywords:** city of Mazouna, jurisprudence school; Ottoman reign; Beylik of west; education; cultural life.

عرفت مدينة مازونة تطورا كبيرا في الحركة الثقافية والعلمية طيلة الفترة العثمانية في الجزائر، أدى إلى ظهور نخبة من الفقهاء والعلماء والقضاة، تركوا تراثا معرفيا كبيرا، كما احتوت المدينة على مجموعة من المؤسسات العلمية والدينية.

## أ- مازونة عاصمة لبائلك الغرب :

بدأ العثمانيون بتأسيس الدولة الجزائرية الحديثة بالقضاء على سلطة الثعالبة بالجزائر، ثم توجهوا غربا فأخضعوا إمارة تنس سنة 1516م التي كانت تحت حكم احميده العبد، وبعد مقتل سالم التومي تحالف مع ابن هذا الأخير ضد الإخوة بربروس، إلا أنه اضطر إلى مصالحة خير الدين والتحالف معه خوفا من نتائج المواجهة<sup>(1)</sup>.

ويبدو أن حسن بن خير الدين كان أول من وضع الأسس الأولى للإدارة العثمانية في بايلك الغرب<sup>(2)</sup> الجزائري نقلا ، وقبل أن يعود من حصار وهران إلى مدينة الجزائر عام 1563م ترك حامية عسكرية في مستغانم ، وعين أبا خديجة بايا ، وتفاديا للغارات الاسبانية القادمة من وهران ، والتحكم أكثر في قبائل المنطقة الغربية، فضل الباي نقل مقر إقامته إلى المناطق الداخلية ، فاختر مازونة مقرا للبايلك<sup>(3)</sup>.

حظيت مازونة باهتمام الإدارة العثمانية في الجزائر بموجب التنظيم الإداري الذي عرفته الإيالة الجزائرية 1562م والقاضي بتقسيم البلاد إلى ثلاث بايلكات ، فأصبحت مازونة عاصمة لبائلك الغرب ابتداء من 1563م، وذلك لموقعها الجغرافي المميز وسمعتها العلمية والثقافية<sup>(4)</sup>.

أدت حاضرة مازونة دورا مهما وحيويا في الجهة الغربية من البلاد أين تعاقب على حكمها ثمانية عشر بايا حسب ما جاء عند المزارى في طلوع سعد السعود "... وهذا الثالث كان منوعا على نوعين أحدهما مازونة وأول باياتها حسن بن خير الدين باشا وسلم في وظيفه، ثم أبو خديجة ، ثم صواق ومات مسموما من سم سقته له زوجته ، ثم السايح وبقي في الملك إحدى عشر سنة

ومات ، ثم ساعد ، ومنه إلى محمد ابن عيسى ، تولى بمازونة عشرة بايات وذهب عن حفطي ما تعلق به منهم، ثم محمد بن عيسى وهو السادس عشر من باياتها ، ثم شعبان الزناقي الذي توفي بالجهاد في وهران، وثانيهما تلمسان ولم يبق بحفطي من باياتها إلا عصمان ويوسف/المسراني، ثم جمعا في الثامن وتسعين وألف ( 1686م) لواحد وصارت القاعدة قلعة بني راشد ، ثم صارت المعسكر، ثم صارت وهران ..."<sup>(5)</sup>.

تولى أمر بايلك الغرب في بداية العهد العثماني بايان اثنان، أحدهما مقره مازونة والآخر تلمسان، وفي عام 1706 وحدهما الباي مصطفى بن يوسف بوشلاغم المسراتي ( 1686-1733) ونقل عاصمة البايك إلى قلعة بني راشد، ثم إلى معسكر<sup>(6)</sup>.

لعبت المدينة دورا هاما كعاصمة للإقليم ، وساهمت بعدة حملات عسكرية ضد الاحتلال الاسباني لوهران ، وذلك طيلة الفترة الممتدة من 1563 إلى غاية 1791 ، حيث توفي آخر باياتها - الباي شعبان - وهو محاصرا وهران 1696<sup>(7)</sup>.

وفي حقيقة الأمر فإن اختيار مازونة كعاصمة للبايلك الغربي قد أحدث تغييرا كبيرا على الأحداث السياسية في المنطقة، حيث أصبحت قاعدة رئيسية لانطلاق الحملات ضد الإسبان ، خاصة وأن تلمسان القريبة من الحدود الغربية والمهددة بخطر ملوك المغرب عرفت معارك وحروب ، حيث قام الشريف مولاي محمد سنة 1647م بغزو الغرب الجزائري ، فدخل تلمسان وتقدم شرقها إلى مسافات بعيدة. واصطدم بباي مازونة وسلب ونهب ماشاء من الغنائم ورجع إلى سجلماسة قبل وصول المدد، فأرسل إليه الباشا عثمان وفدا من العلماء حاملين رسالة، محذرا إياه من مغبة معاودة غزو البايك<sup>(8)</sup>.

تولى شعبان الزناقي حكم مازونة عام 1679م، قضاها كلها في محاربة الإِسبان، إلى أن قتل عام 1686م في إحدى حملاته على وهران<sup>(9)</sup>

وفي عام 1701م عاود السلطان المغربي مولاي اسماعيل الهجوم على بايلك الغرب ، لكن الجيش العثماني بقيادة الباي مصطفى بوشلاغم استطاع هزيمته والاستيلاء على الغنائم، وأسر عدد كبير من جنود السلطان المغربي الذين استعملهم فيما بعد الباي بوشلاغم كأفراد في جيش البايلك.<sup>(10)</sup>

وأمام استفحال التواجد الإِسباني في وهران والتهديدات المتكررة للملوك المغرب، اضطر الباي بوشلاغم عام 1701 إلى نقل عاصمة البايلك الغربي إلى معسكر ، لتبقى مازونة بعد ذلك من أهم حواضر البايلك<sup>(11)</sup> .

### ب - عوامل تطور الحركة العلمية والثقافية في مدينة مازونة:

تعد مدينة مازونة من المدن التاريخية العريقة والأصيلة، حيث وصفت منذ القديم بمدينة العلم والثقافة وسميت "بأم الأحكام المكنونة"، حيث عرفت المدينة حركة علمية وثقافية كبيرة ، خاصة بعد أن أصبحت عاصمة لبايلك الغرب ، كما أدت مراكز التعليم بها أدوارا مهمة ورائدة في تكوين الطلبة وتخريج نخب من العلماء والمشايخ كان لهم الدور الكبير في إرساء معالم الحركة العلمية والثقافية في الجزائر في العهد العثماني .

وقد ساهم في هذه الحركة العلمية نزوح علماء الأندلس إلى الجزائر ، فارين من بطش الكنيسة في بلادهم ، يرافقهم اعتقادهم بأن ما أصابهم بالأندلس سببه الإبتعاد عن الدين ، فأرادوا تدارك ما فاتهم بالعودة إلى الدين وعلومه<sup>(12)</sup> .

ومن عوامل التطور أيضا أن المشرفين على الحركة العلمية لم ينتظروا صدقات الحكام ولا هبات الأمراء، بل شمروا ساق الجد للنهوض بمهمة التربية والتعليم وفق ما هو متاح لها من إمكانيات ومن صدقات المحسنين من أبناء المدينة.

### ج - الحركة العلمية والأدبية بماضرة مازونة خلال العهد العثماني:

عند التطرق للحركة العلمية للجزائر في العهد العثماني إنما يقصد بها العلم المنقول أو العلم الديني، كما يذكرها الباحث محمد بن عبد الكريم "...وإنما نقصد بالحركة العلمية شيئا آخر أبعد من ذلك : هو العلم المنقول، أو الحركة الدينية - إن صح هذا التعبير- وذلك لأن مفهوم العلم - في ذلك العصر - قد كان إنقانا لفهم آي الذكر الحكيم، وحفظا لمرويات الحديث الشريف، ومعرفة لأصول العقائد والفقهيات وتعمقا في فن الأصول . أما فن المنطق فقد جرى فيه خلاف بين العلماء ، لأنه يمت إلى الفلسفة التي حرم الخوض فيها بعض الفقهاء ..."<sup>(13)</sup>.

ويتحدث الورتلاني عن العلوم التي كانت تدرس في العهد العثماني ، والتي لم تكن تتعدى الفقه و علم الكلام، أما غيرهما فليس له أهمية، فيقول " غير أن أهل وطننا لا يشتغلون بالإعراب أتم اشتغال ، وإنما دأبهم بالفقه وأصول الكلام ، وإنما مسائل الإعراب والمنطق والتصريف والبيان والأصول فعلى طرف اللثام"<sup>(14)</sup>.

لم تخرج مازونة عن نظيراتها من حواضر بلاد المغرب في الإهتمام بالعلوم الدينية بمختلف فروعها ، إذ كان الفقه الإسلامي أساس هذه العلوم ، كما زاد الإهتمام بحفظ القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، والبحث في مسائل

الأصول، كما اهتم علماء حاضرة مازونة بتفسير القرآن الكريم<sup>(15)</sup>. وبعض علومه، وفي مقدمتها القراءات، وبرزت التأليف المتعددة حول مناقب أولياء الله الصالحين، وكتب التدريب على القضاء وأداب المسافر منذ القرن الخامس عشر<sup>(16)</sup>.

وعُرفت مدرسة مازونة برسوخها في الفقه، حيث صب جام اهتمام علمائها وشيوخها على الفقه وما قرب منه من علوم أخرى كالحديث والمنطق واللغة، بخلاف التفسير الذي يحتاج إلى درجة كبيرة من الدراية والعلم والإمام بالعلوم الأخرى.

أما الحديث وعلومه فقد عرف اهتماما كبيرا من شيوخ وعلماء مازونة وذلك لاعتماده على الحفظ، حيث اشتهرت رواية البخاري واقرنت بأغلب الإحتفالات الدينية، وكان بمازونة الكثير من العلماء والفقهاء والنابعين في ميدان علوم الحديث والفقه والفتوى على مذهب الإمام مالك، الأمر الذي جعل منهم محط أنظار العلماء من مختلف الحواضر والمدن في كل بلاد المغرب، فهذا ابن رحمون الفاسي، يكاتب شمس الدين أبو عبد الله محمد بن المهدي المازوني لطلب الإجازة منه، على كثرة العلماء في مدينة فاس، مما يدل على شهرة مازونة وعلو كعب علمائها في الحديث والفقه<sup>(17)</sup>.

وبما أن الإنتاج العلمي في العلوم الدينية كان غزيرا، فإن جانب الإبداع والجدة فيه كان معدوما، بل أن كل محاولة للخروج عن التقليد كان يعتبر مغامرة تهدد صاحبها في حياته، إذ وظفت من قبل الكثيرين للإيقاع بمنافسيهم وخصوصهم بتهمة الخوض في أمور السياسة، حيث كثيرا ما شب الصراع بين علماء وأئمة مازونة على مواقع التدريس والإفتاء، وكانت تصل بهم الأمور إلى حد منع بعضهم منابر التدريس فتدخل السلطة السياسية

للبايلك للفصل بينهم في خصوماتهم، مثلما حدث مع الخليفة عثمان الذي تدخل في نزاع بين العلماء وحدد مواقيت التدريس في جامع السيد عبد الحق، كما تبينه الرسالة التي بعث بها إلى القايد بن عبد الله بن خدومة لفض النزاع<sup>(18)</sup>.

وقد جاء فيها ما يلي: " الحمد لله ...متصرف القايد بن عبد الله بن خدومة سلام عليكم وبعد : فإنه بلغنا ، وأن أهل الجوامع يمنعون الطلبة من القراءة في المساجد ، والمساجد أصلها لله يقرؤون فيها كل أحد ، فنبه عليهم أن لا يمنع أحد الطلبة من القراءة في المساجد . وأولاد السيد المهدي يقرؤون في مواضعهم . هذا ما نرى إليكم . وكتب بأمر المعظم السيد : عثمان الخليفة، أمنه الله . آمين"

وقد كتب على الهامش باتجاه الأسفل مانصه: " الحاصل المفتي يقرأ في موضعه وقت الصباح في جامع السيد عبد الحق، والسيد محمد الصغير أخيه يقرأ وقته في وقته امتاع العصر ، كذا عمه السيد محي الدين يقرأ فيه"<sup>(19)</sup>.

#### د - التركيبة الاجتماعية المازونية ودورها في تفعيل الحركة الثقافية :

من الملاحظ أن الجانب الثقافي والعلمي لحاضرة مازونة قد طبع بميزات حضرية شكلتها خصوصية التركيبة الاجتماعية للمدينة ، حيث أن أهم ميزة انفردت بها هي التنوع في عناصرها العرقية والدينية بل وحتى المذهبية.

ومما لاشك فيه أن حاضرة مازونة قد عرفت كبقية الحواضر الأخرى قدوم جاليات وطوائف مختلفة ومتعددة ، أهمها الجالية الأندلسية التي توافدت على المنطقة إثر قرارات الطرد الإسباني لبقايا المسلمين المتواجدين في الأندلس ، فاستقرت بالمدينة ابتداء من القرن الخامس عشر الميلادي، وتواصلت في



توافدها طيلة القرن السادس عشر والسابع عشر الميلاديين بدليل ما ذكرته الواليش فتيحة: "...وتعتبر الجالية الأندلسية على رأس قائمة الجاليات ، وذلك نتيجة ارتفاع عددها وأهميتها في التركيبة الاجتماعية ، كما نشير إلى أن الحضرة والأندلسيين تقاسموا النشاطات الحرفية والتجارية والثقافية والفكرية ، حيث كانت هذه الممارسات والأنشطة هي الصفة الغالبة والمميزة لهذه العناصر<sup>(20)</sup> .

ومقارنة بما سبق نستنتج أن دخول المهاجرين الأندلسيين إلى مدينة مازونة ، قد أعطى دافعا قويا للحركة العلمية ، حيث استفادت من ثقافتهم وأدبهم وطريقتهم في التعليم نتيجة علاقاتهم القديمة مع المراكز الثقافية والعلمية الموجودة على مستوى البلاد العربية الإسلامية.

### هـ- النظام التعليمي لمدرسة مازونة:

لقد استحدث المشرفون على مدرسة مازونة الفقهية عدة قاعات للصلاة وبيوتا للوضوء وأخرى للتدريس وغرف لإسكان الطلبة ومكتبة وبيتا للمدرس ، كما جعلوا للمدرسة التي تعمل على تخريج العلماء والفقهاء وأصحاب الوظائف الدينية كالإمامة والخطابة والقضاء والفتوى وغيرها ، نظام داخلي محكم ودقيق يضبط أوقات التدريس والعطلة وعدد أحزاب القرآن الكريم المتلوة كل يوم، ومحتوى العلوم الفقهية المدروسة وأجور الموظفين وشروط الإقامة في المدرسة بل وحتى شروط الفصل منها<sup>(21)</sup> .

### و - شروط الإلتحاق:

تعتبر مدرسة مازونة الفقهية من بين المدارس التربوية التي تخرج منها العديد من العلماء والفقهاء خلال العهد العثماني، لخاصيتها القائمة على تدريس

الفقه المالكي ومجموعة من العلوم الدينية والدينيوية المختلفة، حيث أشار الدكتور مولاي بلحميسي في حديثه عن شعار الطالب بمدرسة مازونة على وجود تسلسل هرمي للموظفين والطلبة والعلماء بها، كان قائما على شروط العلم الأربعة وهي :

شروط العلم أربعة فأولها التفرغ له

وثانيها وجود جد تبلغ للفـتى أمله

وثالثها فمن شيخ يمد للهـدى سبله

ورابعها مذاكرة مع الإخوان والفضلاء<sup>(22)</sup>

وعليه فقد كان الإلتحاق بمدرسة مازونة الفقهية يقتضي من العالم أو الطالب الإنصياع لمجموعة من الضوابط والشروط هي كالاتي:

- ضرورة حفظ القرآن الكريم لأنه واجب ديني لاسيما فيما يخص الطلبة المسافرين والمقيمين بالمدرسة، وفي هذا المقام يقول أبو راس الناصري: "... فقلت له ذاهب لمازونة ، قال: لم؟ قلت : لقراءة الفقه، فقال : والقرآن ؟ فقلت له : نعرفه بأحكامه وأنصاه ومايتعلق به..."

- الانضباط الذاتي وضبط النفس والالتزام الخلقي بالنسبة للطلبة المقيمين بالمدرسة .

- أن يقبل الطلبة المقيمين النوم باستمرار في المدرسة .

- حرمان طالب العلم من كل الخدمات الاجتماعية والتغطيات المالية، وفي هذا المقام يقول مولاي بلحميسي : "ولم يكن الطلبة آنذاك يحملون

- بالمناح والخدماء الااجتماعية ولا بالاعطية الطيبة ولا بمؤسساء اءرفيه شأن إخوانهم اليوم ولعل في الحرمان حاظا للءراسة".
- عءم السماح لأي أءء من الطلبة القاطنين بمازونة ، ولا من رجال إءارة العلم بها للنوم في المءرسة ما عءا المسافرين من العلماء والطلبة.
  - ضرورة اكفل المءمع المازوني بالإنفاق على المءرسة الفقهية وطلبءها ، باعءبارها صءقة جارية ، بءليل ماذكره الءكءور مولاي بلحميسي: "...ولا يقءصر العون على ماذكرنا بل اكفلاء العائلاء بعل ثياب الطلبة ، كما باءر أهل الإءسان بءفع اكاليف الكراء والءءفة وشراء الشموع للإنارة .
  - اءرام مواقيء اءءريس (الءفرغ للعلم) والمراجعة(المءاكرة).
  - اءرام الشيوخ المشرف على اءءريس وجميع المشايخ الآءرين، والانصياء لأوامر الشيخ واستشارءه في الغاياء العلمية وغيرها.
  - ضرورة الءفاظ على النظام الءاخلي والاءزام به كاللباس الءااص أو الءصول على الطعام والماء والءطب وباقي الاءءياجاء ، وهذا فيما يءعلق بالطلبة المسافرين المقيمين بالمءرسة.
  - عءم السماح للمقيم من الطلبة بالءروج من المءرسة إلا عءء الضرورة
  - لا يشءرط أن يكون المقيم من المءينة أو الباءية.
  - ضرورة فصل الطالب المقيم من المءرسة إذا لم يظهر نبوغه في العلم أو قام بأعمال أو أقوال غير لائقة<sup>(23)</sup>.

### ي- اءءريس ومناهجه:

من خلال الإءلاع على عءيء المصاءر الفقهية بجزانة كءب مءرسة مازونة فءء

عناوين عدة كتب اعتمدت في التدريس لسنين طويلة بالمدرسة، وبقيت تدرس حتى عهد أبو راس المازوني<sup>(24)</sup>.

كانت المادة الأساسية في التدريس في المدرسة هي الفقه المالكي بدليل مقاله أبو راس الناصري "... ثم انصرفت من مازونة وقدمت إلى أم عسكر مامعي شيء من المال ولا غيره سوى معرفة الفقه وحده... قال: هذه عادة طلبة مازونة..."<sup>(25)</sup>

كان مختصر خليل في الفقه المالكي هو الكتاب المعتمد في المدرسة، وتبعاً لذلك لقب مشايخ المدرسة وطلبتها بالخليليين، وقد ركز علماء وطلبة المدرسة على الجزء الأول من المختصر، بدليل ما ذكره مولاي بلحميسي: "... وفي مازونة اشتهر المختصر ومن مازونة نبغ عنصر أسرار خليل وعم نوره في الأقطار، وبقي هذا الكتاب أكثر المتن الفقهي تداولاً في الجزائر، على الرغم من إيجازه الذي يصل إلى الإبهام، وما من شك أن دعاء الشيخ خليل في مقدمة كتابه كانت من الدواعي التي فتحت أعين العلماء والمتعلمين، إذ قال: " نسأل الله أن ينفع به من كتبه أو قرأه أو حصله، أو سعى في شيء منه، لشهرته بالكتاب وتسميه العوام سيدي خليل، والكتاب الأصلي في أربعة أجزاء: كتاب الصلاة وكتاب الزكاة، وكتاب البيوع وكتاب الإيجار..."<sup>(26)</sup>

وعليه يمكن القول أن علماء وطلبة مدرسة مازونة قد اقتصرُوا في تكوينهم الفقهي على المذهب المالكي بمختصر الشيخ خليل، لاسيما الجزء الأول من الشرح المعنون بـ " منح الجليل على مختصر العلامة خليل" والذي احتوى على عدة أبواب هي كالاتي:

أ- باب ما يرفع الحدث وحكم الخبث بالمطلق، وفيه عشرة فصول.

ب-باب في بيان أوقات الصلوات الخمس والأذان والإقامة وشروط صحتها وفرائضها وسننها ومندوباتها ومكروهاتها ، وأحكام السهو عنها أو فيها، وفعلها في جماعة وقصرها وجمعها وشروط الجمعة والسنن وصلاة الجنائزة، والتغسيل والتكفين والدفن وما يناسبها، وفيها سبعة عشر فصل.

كما احتوى هذا الجزء على باب الصيام والاعتكاف، وباب في الحج والعمرة، وباب في المباح والمكروه والمحرم من الأطعمة والأشربة، وفي الضحية والعقيقة واليمين والنذر والجهاد، وفي بيان أحكام المسابقة التي يستعان بها على الجهاد ، وفي أحكام النكاح وتوابعه فكان بذلك مرجعية فقهية لعلماء وطلبة مازونة خلال العهد العثماني<sup>(27)</sup>.

وإلى جانب مختصر الشيخ خليل درس شيوخ وعلماء المدرسة مجموعة أخرى من العلوم، كعلم الحديث اعتمادا على صحيح البخاري ومسلم وموطأ الإمام مالك ، ويؤكد ذلك محمد بن علي السنوسي في قوله: " وقرأت على أبي العباس أحمد بن هني النصف الثاني من المختصر مرارا...وسمعت عليه مجالس من البخاري ومثلها من مسلم والموطأ"<sup>(28)</sup>.

كما عرف المضمون التعليمي الذي تلقاه الطلبة في المدرسة علم التوحيد بالاعتماد على العقيدة الصغرى للشيخ السنوسي ، بدليل ما ذكره محمد بن علي السنوسي " ... وقرأت على حفيده من بعده أبي العباس أحمد بن هني ...وأخذت عليه علم التوحيد وناولني شرحه الكبير على صغري الشيخ السنوسي..."<sup>(29)</sup>.

كما تم إحصاء عدة كتب اعتمدت في التدريس بمازونة لسنين طويلة خلال العهد العثماني، لاسيما ماتعلق بالعلوم اللغوية كالنحو العربي بالاعتماد على ألفية ابن مالك والأجرومية، وبعض المصادر اللغوية كالقاموس المحيط للفيروز أبادي.

أما طريقة التدريس بمدرسة مازونة فقد كانت قائمة على عدة مناهج، منها قيام أحد الطلبة بقراءة فقرة من الكتاب المقرر تدريسه، ثم يقوم الشيخ بشرحها وفق حفظه وإتقانه للمصنف، فيفسح المجال خلال الدرس أو عقبه للطلبة للمناقشة والاستزادة والإثراء من خلال الأسئلة.

يبتدئ الدرس عادة بقراءة الكتاب المراد تدريسه ويقتصر فيه على تقرير المتن وحل المشاكل، بحيث يجعلون الدرس من طلوع الشمس أو قبلها أو بعدها بقليل ليسير إلى قرب الزوال درسا واحدا، ومن بعد صلاة الظهر إلى قبيل المغرب درسا ، ولايستطيع ذلك إلا مهرة ممن لايجتاج غالبا إلى مراجعة في تقرير المتن وحل أشكاله ويسمون ذلك سردا ، فبذلك تيسر إلقاء مثل مختصر الشيخ خليل في أربعين يوما والألفية في عشرة أيام من تجزئة المختصر بأربعين جزءا لكل يوم جزء، نصفه في درس أول النهار ونصفه في درس آخره، ومن تجزئة الألفية بعشرة أجزاء لكل يوم جزء، كذلك إلى غاية انتهاء الطريقة التعليمية لمشايخ وعلماء المدرسة الفقهية<sup>(30)</sup>.

وبما أن التعليم كان من المستوى العالي بماضرة مازونة، فلقد كانت الحلقة العلمية بالمدرسة تبدأ بأن يطلب الشيخ من أحد طلبته بقراءة نص من المصنف، ليبدأ الشيخ مباشرة في شرح النص ، وفي هذا المقام يقول أبو القاسم سعد الله " يدخل الطالب إذن مكان الدرس فيجد المدرس أو المدرسين وحوهم الطلاب في حلق أو نصف دوائر ، وكل مدرس يتناول مسألة أو كتابا

معينا ، فإذا كان الطالب قد كون فكرة واضحة عن مدرس بعينه قبل مجيئه ، فإنه يقصده مباشرة ويجلس إلى حلقة ويتابع دراسته معه في المادة التي يدرسها أو المواد..."

وعليه فقد كان للشيخ بالمدرسة الحرة في وضع البرنامج التعليمي وفي تحديد أوقات التدريس وعقد الحلقات العلمية<sup>(31)</sup>.

وعليه يمكن القول أن مدرسة مازونة كانت منارة علمية أضاءت كل الغرب الجزائري وحواضر من المغرب الأقصى ، وذلك لاكتسابها لنظام تعليمي انفردت به عن ماسواها من المدارس الشاهقة كمدارس تلمسان ومعسكر ، واحتوائها على خيرة العلماء والمشائخ ، فكانت مقصد ومحج لطلاب الناحية الغربية بمرمتها من المغرب حتى مستغانم وتنس مرورا بتلمسان ووهران ، وذلك لأزيد من أربعة قرون.

### الهوامش :

1 walsin Esterhazy, De la domination turque dans l'ancienne régence d'alger, lib de charles glosslin, paris, 1840, p126.

2 - "بايلك" هو اسم منطقة جغرافية إدارية، حيث قسمت الجزائر إلى أربع بياليك أو مقاطعات أو أقاليم هي (بايلك الوسط، وبايلك الشرق وبايلك الغرب وال تيظري). أنظر:

مصطفى أحمد بن حموش، فقه العمران الإسلامي للأرشييف العثماني الجزائري (956هـ، 1246هـ)

1549م. 1830م، ط، دار البحوث والدراسات الإسلامية للنشر، دبي، 200. ص 268.

3 - walsin Esterhazy, Op Cit , p 163.

4- دغموش كاميلية، قبائل الغرب الجزائري بين الاحتلال الاسباني والسلطة العثمانية (1509-

1792)، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2013/2014، ص 91.

5- الأغا بن عودة المزارى، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، تحقيق ودراسة الدكتور يحيى بوعزيز، ط1، ج1، دار الغرب الاسلامي، 1990، ص 270-271.

- 6- أحمد مجري، حاضرة مازونة دراسة تاريخية وحضارية في العصر الحديث 1500-1900، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ والحضارة الاسلامية، قسم الحضارة الاسلامية، جامعة وهران، 2012/2013، ص 38.
- 7- فتيحة الواليش، الحياة الحضارية في بايلك الغرب الجزائري خلال القرن الثامن عشر، رسالة ماجستير مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 1993/1994، ص 48.
- 8- أحمد مجري، مرجع سابق، ص 39.
- 9- ابن سحنون الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق وتقديم المهدي البوعبدلي، ط 1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، 2013، ص-ص 110-115.
- 10- أحمد مجري، مرجع سابق، ص 41.
- 11 - عبد الرحمان الجيلالي، ج3، ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر، 1994، ص 210.
- 12 - نفسه، ص 206.
- 13 - محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تقديم وتحقيق محمد بن عبد الكريم، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص-ص، 46-47.
- 14 - أحمد مجري، مرجع سابق، ص 204.
- 15 - تدريس وليس تأليف، انظر، أحمد مجري، مرجع سابق، ص 210.
- 16 - سفيان شبيرة، دور علماء مازونة في خدمة المذهب المالكي، في، مجلة عصور الجديدة، مجلة فصلية محكمة يصدرها مختبر البحث التاريخي، ع 11-12، جامعة وهران، 2013/2014، ص 186.
- 17 - أحمد مجري، مرجع سابق، ص 214.
- 18- نفسه، ص 209.
- 19 - نفسه، ص 209.
- 20 - الواليش فتيحة، الحياة الحضارية في بايلك الغرب الجزائري خلال القرن الثامن عشر، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 1993-1994، ص 105.
- 21 - يوسف بوكفة، مدرسة مازونة الفقهية: النهضة والسقوط، رسالة ماجستير في علم الاجتماع، جامعة وهران، 2002 - 2003، ص-ص، 85-87.
- 22 - دحو فغورور، قدور بوجلال، الدور الحضاري والثقافي لمدرسة مازونة الفقهية خلال العهد العثماني، ص 44.



- 23 - مولاي بالحيمسي، معلم القرآن في التاريخ والفقه والأدب، منشورات المجلس العلمي، الجزائر، 2007، ص38.
- 24 - أبو راس المازوني : هو محمد بن محمد بن أحمد بن هني بن محمد أبو طالب المازوني بن علي بن عبد الرحمان بن أحمد بن الشارف المازوني ، المعروف بأبي راس المازوني نسبة إلى جده لأمه أبو راس الناصر العسكري ، ولد بمازونة حوالي منتصف القرن 19 من أم تدعى زولة بنت الشيخ أبي راس الناصر ومن أبنائه المعروفين أحمد، محمد ، ومحمد الشانبيط ،تولى منصب الافتاء والتدريس بعد وفاة والده محمد بن أحمد بن هني ، وقد كان ذا علم ووجاهة عند الناس بتمكنه بواسطة دوره التعليمي على أن يبقى الاشعاع لمدرسة مازونة الفقهية بالبايلك الغربي ، فدامت فترة تدريسه أكثر من خمسين عاما. انظر ، دحو فغرور، قدور بوجلال، مرجع سابق، ص 64.
- 25 - أبو راس الناصر، فتح الإله ومنتته في التحدث بفضل ربي ونعمته :حياة أبي راس الذاتية والعلمية، ، حقه وضبطه وعلق عليه محمد بن عبد الكريم الجزائري ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1990، ص21.
- 26 - دحو فغرور، قدور بوجلال، مرجع سابق، ص 47.
- 27 - نفسه، ص 48.
- 28 - ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي ، الجزائر في التاريخ : العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، 1984، ص197.
- 29- نفسه، ص 197.
- 30- دحو فغرور، قدور بوجلال، مرجع سابق، ص50.
- 31- نفسه، ص51.